# 3-مراحل تطور اتجاهات الوعي القومي العربي في بلاد الشام حتى عام 1920

م. د منير عبود جديع/ جامعة الأنبار/ كلية الآداب-قسم التاريخ

com.gmail@munerabood76

**المستخلص**

ظهر جليا مراحل تطور الوعي القومي العربي خلال اواخر القرن التاسع عشر في الوقت الذي كان فيه العرب في المشرق والمغرب لم يندمجوا في هذا الوعي. كان هناك اسباب جعلت لبلاد الشام اسبقية في هذا التقدم لان المغرب العربي كان منشغلا بحركات التحرر من السيطرة الفرنسية آنذاك، اما المشرق العربي فقد كان تحت السيطرة العثمانية ولمدة طويلة مع ظهور تنافس دولي وانقسام املاك الدولة العثمانية. وهنا ظهرت فكرة التطلع في المطالبة بالإصلاح والاستقلال.

مرت مراحل تطور الوعي السياسي في بلاد الشام بعدة مراحل. كانت المرحلة الاولى من عام 1880م الى 1914 م تبلورت متأثرة بما جرى في أوربا من تطورات سياسية مهمة منها تطور التعليم والثورة الصناعية، وانتج هذا ظهور بعض الجمعيات السرية في مقدمتها جمعية بيروت التي تأسست عام 1880م والتي اسهمت في تطور الوعي الفكري والثقافي السياسي العربي إذ اقدمت على ارسال بعض الرسائل الى القنصل البريطاني آنذاك، وعلى الرغم من دورها غير الكافي الا انها كانت الحركة الاولى والصوت باتجاه استنفار الحركة العربية، وما طرحته كان تطورا كبيرا في وضعها السياسي آنذاك، أما المراحل الاخرى ومساراتها فكانت تمثل ايضا تجربة فريدة باتجاه تطور الوعي القومي العربي. وكانت هذه الاسباب وراء اختيار هذا البحث الذي يتناول حقبة مهمة من تاريخ نشوء الحركة السياسية والوطنية في بلاد الشام.

تم تقسيم البحث إلى عدة محاور. ضم المحور الاول التتبع التاريخي لبلورة الفكر واتجاهات الوعي العربي وصولا الى مراحل متقدمة ولاسيما في المراحل الاولى من السيطرة العثمانية وصولا الى السيطرة الأجنبية. اما المرحلة الثانية فتمثل ما بعد السيطرة الاجنبية وظهور عدة جمعيات ومنتديات استقطبت الرموز المهمة وتناولت الكثير من القضايا العربية.

**Abstract**

The stages of the development of Arab national awareness during the late nineteenth century appeared clearly at the time when the Arabs in the Levant and the Maghreb did not merge in this awareness. There were reasons that made the Levant take precedence in this progress because the Arab Maghreb was preoccupied with the liberation movements from French control at the time. Al-Arabi was under Ottoman control for a long time and the emergence of international competition and the sharing of the property of the Ottoman Empire, and here the idea of aspiration to demand reform and independence emerged.

The stages of development of political awareness in the Levant passed through several stages. The first stage was from 1880 to 1914, crystal-

lized by its impact on important political developments in Europe, including the development of education and the industrial revolution. This produced the emergence of some secret societies, particularly the Beirut Association, which was established in 1880, which contributed to the development of Arab intellectual and cultural political awareness, as it proceeded to send Some of the messages to the British consul at the time, despite its inadequate role, but it was the first movement and voice towards mobilizing the Arab movement and what it presented was a great development in its political situation at that time. As for the other stages and their paths, they also represented a unique experience towards the development of the Arab national consciousness.. These reasons were behind the choice of this research, which deals with an important era in the history of the emergence of the political and national movement in the Levant

The research has been divided into several axes that represent the first axis, the historical tracking of the crystallization of thought and the trends of Arab awareness, up to advanced stages, especially in the early stages of Ottoman domination and up to foreign domination. As for the stage it represents after foreign domination and the emergence of several associations and forums that attracted important symbols and addressed many issues Arabic

**المراحل الاولى لتطور الاتجاهات القومية**

المرحلة الاولى من تطور الوعي القومي في القرن التاسع عشر هي مرحلة السيطرة العثمانية على الوطن العربي وكانت بلاد الشام منها[129]، فقد كان العرب في المشرق والمغرب غير مندمجين في هذه المرحلة لاسيما المغرب، نتيجة نظالهم ضد الاحتلال الفرنسي اذ احتلت فرنسا الجزائر عام 1830م و تونس 1918م و المغرب 1912م، واحتلت ايطاليا ليبيا عام 1912، وسيطرت بريطانيا على مصر عام 1882م[130].

وبقي المشرق العربي تحت السيطرة العثمانية، وبعد خسارة الدولة العثمانية الحرب برز التنافس الاستعماري على تركة الدولة العثمانية والخلاف على تلك التركة، وان تطلع العرب إلى مطالبة السلطات العثمانية بالاصلاحات المهمة والمطالبة بالحكم والاستقلال والانفصال عن الدولة العثمانية كان في مقدمة العوامل الخارجية، فقد اتجه العرب صوب بريطانيا وفرنسا اعتمادا على ان هذه الدول سوف تساعدها في التخلص من الحكم العثماني، ومما تقدم فان المشرق كان امام اتجاهات متباينة

(129) كان المماليك الجزء الغربي من المشرق العربي ويضم بلاد الشام ومصر والحجاز واتجه العثمانيون بعد انتصارهم على الدولة الفارسية في موقعة جالديران 1514 إلى التوسع على حساب المماليك وتهديدها لحدود الاخيرة , سيطرة العثمانيين على بلاد الشام بعد معركة مرج دابق 1516. ينظر للتفاصيل عبدالكريم رافق, بلاد الشام ومصر , منذ الفتح العثماني حتى حملة نابليون بونابرت , دمشق 1968, ابراهيم خليل احمد , تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني 1516-1916 , دار ابن الاثير للطباعة والنشر , الموصل , 2005 , ص52-34

(130) ينظر التفاصيل، جلال يحيى المغرب العربي والاستعمار القاهره 1966، ص 33 - 82.

تمثلت في البداية بظهور الوعي القومي الذي اتجه صوب بريطانيا وفرنسا من اجل الاستقلال عن الدولة العثمانية ومقاومة سياساتها وقد تنبه الوعي القومي العربي الى الاخطار الاجنبية في المغرب فقد اسهمت التنافسات الاستعمارية في المشرق في زياده الوعي القومي العربي حيال الاخطار الخارجية وقد اختلف الوضع القومي بين المشرق والمغرب نظرا لاختلاف الاوضاع بين المشرق والمغرب، وكان للهيمنة الخارجية والمحاولات الاستعمارية اثر واضح في تطور الفكر القومي العربي في منتصف القرن التاسع عشر وهذه هي البذور الاولى والاصول للفكر القومي العربي. ان المتتبع لفكرة القومية العربية من عام 1880 الى 1914 يجد انها مرت بمراحل وعي متباينة، فضلا عن ذلك فإنها تاثرت بالتطورات الداخلية في اوروبا فقد انتشر التعليم في اوروبا وظهرت الثورة الصناعية وكانت الملامح الاولى لهذه الاتجاهات تاسيس جمعية بيروت العربية عام 1880 التي كان لها الاثر في التقدم الفكري، وقد ترجم هذا التقدم عن طريق الرسائل التي ارسلت الى القنصل البريطاني في ذلك الوقت فضلا عن المنشورات الثورية التي وجهت الى الشعب العربي[131] وعلى الرغم من الاختلاف في تاسيس هذه الجمعية الا انها تعدت حالة تنبيه افرزتها الحركة العربية كونها اقدم واول جمعية عربية. كان الهدف السياسي غايتها الاولى وما ضمنته من تهديد بقيام ثوره مسلحة اذا اقتضت الضرورة في وقت لم تكن فيه الامة مهيأة لوحدة الكلمة والصف في تلك المرحلة [132] حيث اسهمت النهضة الثقافية والاجتماعية التي ظهرت من خلال حركة الاحياء العربي فقد خرجت الجمعية من محيطها الضيق وحصلت على جانب كبير من التأييد والزخم مستفيد من أوضاع 1860 ومستغلة العوامل والظروف الروحية غير متاثرة بالمطالب الاقتصادية والسياسية وأخذت هذه الحركة قسما من افكارها من محيطها وامضت فيه وقتا قبل ان تتوجه الى الغرب باستعارة المبادئ والنظريات السياسية هناك[133]. رافق هذا الجهد حملة من التوعية الاعلامية في الصحف. كان في مقدمة هذه الصحف ابو الهول والمنار والكرمل وفلسطين و المقتبس والاقدام وغيرها من الصحف العربية المنتشرة في العراق وبلاد الشام ومصر ولم تقتصر التوعية على نشر مقالات بل اتجهت نحو تأليف كتب تناولت فيها خطورة هجرة الحركة الصهيونية على الامة العربية ودعت الى ايجاد مواقف موحدة، وكان في مقدمة هذه الشخصيات نجيب عازوري [134] فقد الف كتابه يقظة الامة العربية في اسيا التركية الذي نشر عام 1905 ودعا فيه الى بناء دولة عربية قومية تمتد من الفرات ودجلة مرورا بقناه السويس الى البحر العربي، اما الكتاب الاخر فكان اسمه الصهيونية حيث دعا الى وجود جبهة موحدة وقوية امام الخطر الصهيوني، وقد سار في الاتجاه نفسه شخصيات اخرى في مقدمتهم عبد الرحمن الكواكبي ومحمد عبده و جمال الدين الافغاني، و بدأ تاسيس جمعيات واحزاب سرية وعلنية للوقوف امام المشاريع اليهودية، ولا يخفى ان الدولة العثمانية في نهاية القرن التاسع عشر مرت بحالة ضعف وبذلك فتح الباب امام تنافس واطماع بين الدول الاوروبية من اجل تقسيم الاجزاء الاستراتيجية المهمة من تلك الدولة، وكان هذا واضحا عن طريق الاستيلاء على مصر و اجزاء من المغرب العربي والقرم وكان ضعف الدولة العثمانية في هذه المدة واخفاقاتها الادارية عاملا مهما أدى الى تاسيس حركة قومية عربية هدفها ايجاد بعد تنظيمي في الولايات العربية

---

(131) – جورج انطونيوس، يقظة العرب تاريخ حركة العربي القومية، ت ناصرالدين الاسد واحسان عباس، ط8، دار العلم للملاين، بيروت ، 1987 , ص71 ؛ ابراهيم خليل احمد ، المصدر السابق ، ص404 .

(132) – ليلى الصباغ , المجتمع السوري في مطلع العهد العثماني , دمشق , 1973 ,ص87–10 .

(133) - جورج انطونيوس , المصدر السابق ,ص114 .

(134) – نجيب عازوري ولد في بيروت 2016–1881 تولى عدة مناصب منها وكيل متصرف القدس. عزل من وظيفته وسافر الى باريس حيث عمل ضد الدولة العثمانية وسعى الى الاستقلال العربي وأسس جمعية جامعة الوطن العربي 1904 انضم إليها عدد من العرب والاحرار المثقفين في باريس هدفها تحرير بلاد الشام والعراق من السيطرة العثمانية , ينظر للتفاصيل ابراهيم خليل احمد , المصدر السابق , ص400–399 .

[135] و هناك عدة مؤشرات في القرن العشرين تعطي دلائل على ازدياد ملحوظ في اتجاهات مظاهر الوعي العربي.

ومما زاد حفيظة العرب سياسة جمعية الاتحاد والترقي التي عزلت السلطان عبد الحميد وانتجت الطورانية و سياسة التتريك، ان السياسات قد دعت الى وعي جديد عن طريق ظهور جمعيات القومية العربية التي تعمل سرا وتدعو الى المطالبة بحق العرب في حكم انفسهم عن طريق نظام لامركزي مرتبط بالدولة العثمانية لاسيما بعد انتقال مهمة التوعية القومية الى مجمل الاديان في نهاية القرن التاسع عشر. كان المسلمون قسما من هذا التاثير وفي مقدمتهم عبد الرحمن الكواكبي وغيره من المنظرين الذين اسسوا جمعيات سرية وعلنية في نهاية الامر[136].

تشكلت عدة جمعيات لا سيما بعد وصول جمعية الاتحاد والترقي الى حكم الدولة العثمانية عام 1908 مما زاد عداء العرب لسياسة الاتحاد والترقي في انتهاج السياسة الطورانية لاسيما في ظل تزايد نشاط اليهود في فلسطين عن طريق الهجرة واقامة المستوطنات[137].

تضافرت اسباب وعوامل ادت الى انتقال العرب من الاطار التعبوي الاعلامي والنظري الى الاطار العملي الذي يعبر عن اتجاهات جديدة من الوعي وفي مقدمة هذا الانتقال تاسيس جمعية الاخاء العربي في الاستانة عام 1908 وجمعية منتدى العربي التي تاسست عام 1909، وقد تشكلت هذه الجمعية من مجموعة من الطلاب العرب الذين كانوا يدرسون في الاستانة وهدف هذه الجمعية توثيق عرى الاخاء بين العرب على اختلاف اديانهم واجناسهم ومن مؤسسي هذه الجمعية شكري قوتلي وسيف الدين خطيب وجلال الدين بخاري من دمشق واحمد عزة الاعظمي من بغداد ونسيم البيطار قاضي القدس الشرعية، اما الجمعية القحطانية فقد تاسست سنة 1909، في اسطنبول وهي من الجمعيات السرية ولها برامج ومطالب جزئية فقد طالبت باستقلال البلاد العربية مع الاحتفاظ بالولاء للدولة العثمانية وقد اعدم احمد جمال باشا معظم اعضاء هذه الجمعية[138]، فضلا عن الجمعية العربية الفتاة في باريس ثم في سوريا عام 1912، وجمعية العلم الاخضر في الاستانة، وجمعية بيروت الاصلاحية والجمعية البصرة الاصلاحية وجمعية العهد في الاستانة 1913م، والرابطة العربية في القاهرة عام 1915 وحزب اللامركزية في مصر الذي نظمه مجموعة من الشخصيات من بلاد الشام ومؤتمر منتدى الشباب العربي في باريس عام 1913. ان تصاعد السياسة الطورانية بعد عزل السلطان عبد الحميد الثاني، وتاثرهم بالمد الاوروبي وسوء تصرف العثمانيين تجاه القوميات العربية دفع الى تسارع انماء الروح القومية وتبني الفكر القومي بكل مفاهيمه عن طريق الجمعيات التي انطلقت بسرعة مطورة افكارها عن طريق المراحل والادوار التي خرجت بها من عام 1908 – 1916 وقد طالبت باللامركزية و ايجاد اتحاد بين العرب والاكراد والدعوة بالانفصال عن الدولة العثمانية، ولا يكفي ان هذه المطالب عبرت عن مدى الوعي القومي الذي وصلت الية تلك الجمعيات، وقد دعا عبد الكريم خليل رئيس المنتدى الادبي الى الاخاء بين العرب في مختلف اديانهم[139]. ويتضح ان اجواء التعبئة ضد الدولة العثمانية بدأت تظهر بشكل واضح نتيجة سياستها اولا وتطور اتجاهات الوعي القومي العربي وتنافس دولي سبق الحرب العالمية الاولى وهذا ما خلق فتورا وفجوة في العلاقات العربية العثمانية،

(135) - سليمان موسى , الحركة العربية , سيرة المرحلة الاولى للنهضة العربية الحديثة 1908–1924 , دار النهضة , بيروت , 1970 , ص32–29 .

(136) – أحمد امين , زعماء الاصلاح في العصر الحديث , القاهرة , 1965 , ص72–13.

(137) – ارنست رامز ور , تركيا الفتاة والثورة عام 1908 , ت صالح احمد العلي , بيروت , 1960 , ص117–97.

(138) - محسن الجابري، علم الثوره العربية، بيروت، 2000، ص 12 – 42.

(139) – اميل توما , جذور القضية الفلسطينية , دار الكتب , فلسطين 1997 , ص91–82؛ ابراهيم خليل احمد , المصدر السابق , ص407.

و زادت الامور تعقيدا بعد تولي احمد جمال باشا الذي حكم الشام، وهذا عد بداية اتساع التوتر بين الطرفين لاسيما في المدن التاريخية الحساسة التي وجهت فيها الجهود للدفاع عن الاراضي العثمانية، وقد اظهر جمال باشا حزب الاتحاد والترقي بأسوأ صورة عندما وضع مجالس عسكرية في الشام واعتقل عددا كبيرا من الشباب العرب و نفذ بهم حكم الاعدام و كانت هذه السياسة من العوامل الرئيسية التي زادت الخلاف والنقمة على السياسة العثمانية وجيشها لا سيما عند معسكر الجيش العثماني الرابع بقيادة احمد جمال باشا في دمشق(140). لغرض عبور قناه السويس ونقل ساحة العمليات الى افريقيا فقد كانت البلاد غير جاهزه سياسيا واقتصاديا لاستقبال الجيش الذي ينعكس سلبا على الواقع الاقتصادي وهذا ادى الى انتشار الفقر والمجاعة بسبب مصادرة الجيش للبضائع والمواشي واستخدام موارد البلاد و استخدام الفلاحين لحفر الخنادق ضمن المجهود الحربي وان الاستغلال السيئ للسلطات المطلقة على اثر اعلان الاحكام العرفية والغاء الاستقلال الجزء لجبل و فرض سياسة بالقوة كانت مقدمات قوية لزيادة النقمة على العثمانيين وعلى جيشهم فضلا عن اسباب اخرى منها التدخلات الاجنبية التي ألبت العرب ضد هذه السياسة واعطتهم الوعود اذا ما ثاروا على العثمانيين. كل هذا شكل عاملا مهما في اتجاه فكرة تطور الوعي القومي من الحالة النظرية الى ترجمة فعلية عن طريق سلوك الثوره ضد العثمانيين(141).

## ملامح الحركة القومية واهدافها قبيل الحرب العالمية الاولى حتى عام 1920

تمخضت الحركة القومية العربية في بلاد الشام منذ تجمع سحب الحرب العالمية الاولى عن مجموعة من المطالب للسلطة العثمانية اهمها الاعتراف بالعرب كونهم امة لها تأثير وحيز في الحياة، ومناهضة الاحتلال، والمطالبة بحقوق العرب، والقيام بخطوات دستورية عن طريق تحقيق اللامركزية او الحكم غير المركزي، وقد ظهرت هذه المطالب بشكل واضح وملموس في محاور مؤتمر باريس عام 1913م، كل هذا ادى الى استيقاظ الحركة القومية في المغرب العربي لا سيما في الجزائر وتونس وليبيا فضلا عن مصر اذ بدأت هذه البلدان تتطلع الى المشرق العربي الذي منعها من تنافس هذه الدول على السيطره وخلافاتها على التقسيم فقط، فقد طالبت الحركة القومية بالاصلاح والحكم غير المركزي او اللامركزية في الحكم(142).

بدأت التطورات السياسية بالتسارع الى الحرب، وقد استغلت الدول الاستعمارية الخلاف العربي العثماني وهذا الخلاف سببه ما ارتكبه احمد جمال باشا من سياسات وحشية ضد الحركة الوطنية اذ بدات هذه البلدان تطالب بالاستقلال عن العثمانيين بل ذهبت الى اكثر من ذلك فقد اعلنت الثورة من الحجاز ضد الدولة العثمانية والمشاركة في الحرب الى جانب دول الحلفاء فقد تكونت القومية العربية والاتجاهات الحديثة بسبب سياسات الدولة العثمانية بعد نجاح ثورة عام 1908م او الانقلاب العثماني فقد تكونت القومية العربية كونها رد فعل ضد السياسة العثمانية وقد كانت مطالب الحركة القومية العربية السابقه عبارة عن وعي قومي عربي له سماته الذي حسن الموقف العربي وجذب انتباه العثمانيين لضمان حقوق العرب في الدوله العثمانية(143).

ان المطالبة بالاستقلال عن العثمانيين جاءت بعد السياسة العثمانية فقد كانت الدولة العثمانية تستطيع ان تجد الحلول لكثير من المشاكل التي واجهت الولايات العربية وهذا يعد مسوغا للثورة العربية في

(140) – حورج انطونيوس، المصدر السابق، ص69.
(141) – سليمان موسى، المصدر السابق، ص 103–101 ؛ جور انطونيوس، المصدر السابق، ص70.
(142) – اميل توما، المصدر السابق، ص93 ،جورج انطونيوس، المصدر السابق، ص73.
(143) – مصطفى عبد القادر النجار، فكر الثورة العربية لعام 1916م واستقلال العرب، تطور الفكر العربي، بغداد، 1986م، ص140.

بداية الحرب العالمية الاولى فضلا عن ذلك سلوك السلطات العثمانية وسياساتها حيال الشريف حسين امير الحجاز كونه رمزا معنويا لاسيما بعد وصول معلومات لعزله وتعيين شريف اخر بدلا عنه. كل ذلك ادى الى بلورة فكرة الثورة لدى الشريف حسين الذي بدأ بالبحث عن تحالفات واجراءات اخرى، وقد اثمرت هذه الاجراءات بالتقاء الامير عبد الله بن الحسين في شباط عام 1914م باللورد كتشنر المعتمد البريطاني في مصر موضحا له اسباب الخلاف بين الشريف حسين والدولة العثمانية واسباب سخط العرب، وتطرق في حديثه الى السياسة الطورانية وتصرفات جمعية الاتحاد والترقي ملوحا بامكانية قيام ثورة في حال عزل الشريف حسين عن الحجاز، واظهر عدم جدوى العرب في اقناع العثمانيين في حقوقهم وقد تم استعمال دعاية قوية لاقناع العرب باتباع نهج الشريف حسين بعد عزل السلطان عبد الحميد الثاني، وكان ينظر له كرجل الوحدة الاسلامية، وكان من ركائز هذه الدعاية استناده الى الدعاية القومية والدين معا وقد استطاع الشريف حسين بهذا كسر شعار العثمانيين الذي رفعه في الحرب العالمية الاولى وهو الجهاد المقدس، وقد استثمر الشريف حسين الموقف العربي الغاضب حيال المجازر التي قامت بها جمعية الاتحاد والترقي لا سيما ما قام به جمال باشا في الشام فلم يستجب جمال باشا لنداءات الشريف حسين لمنع احكام الاعدام التي صدرت في حق قيادات عربية وقضت بشنق احد عشر رجلا في بيروت ودمشق في اب 1917م كان من بينهم قضاة وادباء[144].

كان قيام الامير فيصل باحتلال العقبة بداية فعلية لعمل سياسي على الارض خارج الحجاز هدفها استمالة عرب سوريا الى صفوف الحلفاء واستغلال سلوك جمال باشا حيال الشام فضلا عن إضعاف الموقف العثماني، وبذلك تكون قضية الحلفاء والاستقلال العربي قضية واحدة في اتجاهات الوعي القومي العربي وهذا ما تناولته اتفاقيات حسين– مكماهون التي أبرزت عمل القوات البريطانية التي تتقدم شرق قناة السويس عام 1916م واستغلها هذا التحالف في سبيل استمالة شيوخ العشائر عن طريق رسائل سرية، فقد حمل الرسل السريون رسائل الشريف حسين لهذه العشائر يطلب بها الانضمام الى جانب الجيش البريطاني، وقطع الامدادات عن الجيش العثماني، وقد نجح المبعوثون للامير فيصل بن الحسين فضلا عما قام به الطيران البريطاني في نشر الرسائل يوصي بها عدم البقاء الى جانب الجيش العثماني والانضمام الى الامير فيصل و القوات البريطانية. كل ذلك كان له تاثير واضح على معنويات الجيش العثماني[145].

مما تقدم يظهر ان الثورة العربية انتقلت بشكل واضح من الحجاز الى بلاد الشام، واخذ الشباب بالانضمام الى الثورة وبدأوا ينشدون استقلال العرب عندما احتل الثائرون بقيادة الامير فيصل ميناء العقبة عام 1917م وكانت هذه اشارة واذنا لتحول الثورة من الحجاز الى بلاد الشام إذ كانوا متطلعين الى قيام دولة عربية مستقلة، وقد التحقت بالثورة قبائل من شرق الاردن ثم من فلسطين وسوريا واصبح جيش الثورة يمثل الجناح الايمن للحلفاء المتوجه من مصر الى فلسطين، وكان المتطوعون العرب منظمين في جيش الثورة بدافع نزعتهم الاستقلالية والاطمئنان الى وعود الحلفاء، ولا يخفى على احد ان الثورة العربية كانت استقلالية غير اقليمية شارك فيها ثوار من العراق وسوريا ولبنان[146]، ومن سير احداث الحرب العالمية الاولى تبلور الوعي القومي العربي بصورة واضحة اذ اصبح العرب الى جانب الحلفاء بعد الثورة العربية، لهذا عمل العرب بكل الوسائل والسبل لاجل التخلص من الحكم العثماني، وان ظهور الاطماع الصهيونية المهددة لمستقبل البلاد العربية وظهور وعود متناقضة كان بدايتها اتفاقية سايكس بيكو الذي احتج العرب عليه والتقسيمات الاستعمارية بين بريطانيا وفرنسا وانتشار خبر

(144) – ابراهيم خليل احمد، المصدر السابق، ص408، جورج انطونيوس، المصدر السابق، ص183.

(145) – مصطفى عبدالقادر النجار، المصدر السابق ص 140؛ ابراهيم خليل احمد، المصدر السابق، ص410.

(146) – رافت غنيمي، تاريخ العرب الحديث، القاهرة، 1975م، ص 42 – 53 ؛ جورج انطونيوس، المصدر السابق، ص 412.

وعد بلفور الذي اعطته بريطانيا للصهيونية من اجل اقامة وطن قومي لليهود ادى الى الانتقال الى مرحلة جديدة تتطلب وعيا سياسيا منظما للمقاومة والاحتجاج، ويمكن ان يحدد هذا الاتجاه عن طريق الجمعيات التي تشكلت في بداية عام 1918م التي عدت من اهم مظاهر الوعي السياسي المنظم لمقاومة وعد بلفور ايضا، وقد ضمت هذه الجمعيات المسلمين وغير المسلمين واوصدت الابواب امام بريطانيا التي ادعت ان الشعب الفلسطيني ومقاومته جاءت لاسباب دينية فقط، محاولة خلق فجوة بين صفوف المجتمعات العربية [147]، وكانت هذه الجمعيات منذ بداية تاسيسها وتنظيمها السياسي تمثل الشعب الفلسطيني وسعي هذه الجمعيات الى الاستقلال الوطني والدفاع عن حقوق العرب واماكنهم المقدسه، وبذلك وضعت حجر الاساس لنظام سياسي واع ومنظم وكانت تمهيدا لارضية مناسبة لعقد مؤتمرات وطنية كان في مقدمتها المؤتمر الفلسطيني الاول الذي عقد في القدس عام 1919 وحضره 27 شخصية من كل المناطق والمدن الفلسطينية وخرج هذا المؤتمر بمذكرتين الاولى دعت الى مؤتمر الصلح في باريس لتفنيد كل المزاعم اليهودية و ادعاءاتهم بالسيطرة على فلسطين، اما المذكرة الثانية فقد دعت الى رفض كل ما جاء في وعد بلفور، وعقد مؤتمر اخر في دمشق بعنوان المؤتمر السوري العام وحضره من كل مناطق سوريا و افتتح الجلسة في هذا المؤتمر الامير فيصل، وقد اتخذ هذا المؤتمر مجموعة قرارات قدمت الى اللجنة الامريكية وهذه القرارات هي رفض جميع الوصايا السياسية والاعتراف الرسمي باستقلال سوريا ومن ضمنها فلسطين، والمطالبة بحكومه ملكية مدنية نيابية ليكون فيصل بن الحسين ملكا على سوريا والغاء اتفاقية سايكس بيكو ووعد بلفور وعقد مؤتمر فلسطين الثاني في ايار عام 1919م، وعقد المؤتمر العربي الفلسطيني الثالث وجاء في هذا المؤتمر قرارات ومطالب مماثلة للمؤتمرات الاخرى السابقة وكان في مقدمة هذه المطالب الاستقلال التام ورفض الانتداب و وعد بلفور وقف استملاك الاراضي وبيعها لليهود ووقف الهجرة الصهيونية[148] وكانت مخططات بريطانيا لاحتلال فلسطين لابعاد النفوذ الفرنسي عن بلاد الشام فقد احتلت فرنسا بلاد الشام عام 1882م وكانت خطط بريطانيا تقوم على اسكان اليهود ليكونوا حاجزا بشريا بين نفوذ فرنسا في بلاد الشام ونفوذ بريطانيا في مصر، وبعد ان حددت الحركة الصهيونية هدفها في اقامة وطن قومي في فلسطين اصبحت مشتركات بريطانية صهيونية في سلخ فلسطين عن الدولة العثمانية اولا وابعاد فلسطين عن النفوذ الفرنسي واعطائها لليهود بشكل نهائي[149].

**السياسة الاستعمارية واثرها في الاتجاه القومي**

بعد نهاية الحرب العالمية الاولى وما تبعها من نتائج، وخسارة الدولة العثمانية في تلك الحرب، تبينت خيانة بريطانيا وعدم تنفيذها للوعود التي قطعتها على نفسها ويتضح ذلك عن طريق اتفاقية سايكس – بيكو عام 1916م التي نصت على تقسيم البلاد العربية بين بريطانيا وفرنسا وهذه الاتفاقية تحول دون قيام دولة عربية موحدة وواحدة فضلا عن ذلك يعد وعد بالفور 1917 مشكلة إضافية إذ نص على التزام بريطانيا لليهود بانشاء وطن قومي لهم[150]، فضلا عن ذلك مؤتمر سان ريمو عام 1920 الذي تقرر فيه وضع سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي والعراق وفلسطين تحت الانتداب البريطاني على ان تلتزم بريطانيا بوعد بلفور. ومما تجدر الاشارة اليه ان البيان الذي اذاعته بريطانيا في تشرين الثاني عام 1918 طمأنت فيه بريطانيا وفرنسا العرب بانهما خاضتا الحرب من اجل كبح جماح المطامع الالمانية وهما تسعيان الى مساعدة الاهالي في العراق وسوريا في اقامة

(147) - حسني ادهم جرار، شعب فلسطين امام التآمر البريطاني والكيان الصهيوني، عمان 1999م ص 26 – 29.

(148) - محمد عماره، العرب والتحدي، الكويت، 1980م، ص 66 – 100؛ ابراهيم خليل احمد، المصدر السابق، ص197.

(149) – حسني ادهم جرار، المصدر السابق، ص 30؛ رافت غنيمي، المصدر السابق، ص 122.

(150) – اكرم زعيتر , القضية الفلسطينية , دار المعارف , القاهرة , 1995 ,ص53.

حكومات وطنية ومساعدة تلك الحكومات في هذه البلاد في المشاريع الاقتصادية والعمرانية، ولم تلتزم بريطانيا وفرنسا بتلك الوعود، ان التطورات السياسية التي شهدتها بلاد الشام على وجوه الخصوص والوطن العربي على وجه العموم قبيل الحرب العالمية الاولى ادت الى التحول في السلوك القومي العربي حيال بريطانيا وبدأ الحراك القومي واضحا جليا في نيسان عام 1915، فقد رفض هذا الحراك سياسة بريطانيا، فقد احتج مفتي القدس كامل افندي حسيني على خطبة رئيس البعثه الصهيونية فقد القى رئيس البعثة الصهيونية (ستروزال) الخطبه في القدس في حضور الحاكم العسكري البريطاني، اظهر فيها نوايا الصهيونية بتنفيذ وعد بلفور وقد احتج عرب فلسطين وقدموا احتجاجات الى الجنرال رونالد ستورز نتيجه للاحتفال اليهود بالذكرى الاولى لوعد بلفور، وقدموا ايضا مذكرة احتجاجية الى الجانب البريطاني للسبب نفسه[151] ويعد تبلور الحركة الوطنية الفلسطينية عام 1917 مؤشرا قويا على تنامي الوعي القومي تجاه المخاطر البريطانية والصهيونية، فقد قامت الحركة الوطنية الفلسطينية بمظاهرة النبي موسى، فضلا عن احتجاج الامير فيصل على مقررات مؤتمر سان ريو عام 1920م، وقد اجريت تعديلات على اتفاقية سايكس بيكو فقد قدم الامير فيصل مذكرة احتجاج الى الحكومه البريطانية، ثم ارسلت بعد ذلك الى باريس للتفاهم مع الجانب الفرنسي، الا ان الحقوق العربية اهملت في مؤتمر الصلح عام 1919 نتيجة السياسة البريطانية الفرنسية الاستعمارية، وعلى الرغم من الامكانيات المتواضعة للحركة العربية القومية بدأ العمل الشعبي المنظم ضد المواقف البريطانية ونتج عن ذلك قيام حركة وطنية فلسطينية ومرت هذه الحركة بمراحل تدرج، فقد بدأت الحركة بالمطالبة بالاستقلال عن الدولة العثمانية مرورا بالوعود بريطانيا الكاذبة، كل ذلك عزز الوعي القومي العربي بشكل مباشر، و هذا بدأت المطالبة بالاستقلال عن العثمانيين عن طريق الحملات الصحافية بارسال برقيات احتجاج الى اسطنبول او إلى ممثلي القناصل الاجنبية والضغط على رجال الدولة في اسطنبول عن طريق النواب في البرلمان، فقد اشار النائبان شكري العسلي نائب دمشق وروحي الخالدي نائب القدس في مجلس المبعوثان (البرلمان)، محذرَيْن مجلس البرلمان من الخطر الصهيوني وخطورته في سوريا والعراق وفلسطين، اما الاتجاه الاخر فقد عقد المؤتمرات حيث القيت الخطب في المساجد وتشكلت الجمعيات السرية والعلنية[152].

**الخاتمة**

مما تقدم يمكن القول بان المراحل الاولى من بروز الاتجاهات القومية في بلاد الشام كانت جزءا من بلورة الهوية الوطنية غير المتساوية في جميع البلدان العربية، ففي مصر والمغرب انهمكوا في مقاومة الاستعمار وتجاوزوا مرحلة القومية وبرزت ثقافة المقاومة وما سمي بالوطنية وازدهرت الهوية في العراق وسوريا بشكل أكبر على شكل وعي قومي ثم جاء التحول الى الهوية الوطنية. اما اسباب هذا التسارع فيعود الى استعمار يهودي واحتلاله لفلسطين ما دفع الى تنامي الوعي القومي بشكل متقدم في فلسطين حيث نجدهم ايدوا الثورة العربية التي حدثت في مصر والسودان على سبيل المثال، كذلك الصحافة والجمعيات السرية والعلنية كانت تعبيرا عن الوعي ايضا إذ كان لها الصدى والتأثير في بلاد الشام.

(151) - خيرية قاسميه مواقف عربيه من التفاهم مع الصهيونية 1914–1913 , شؤون الفلسطينية , العدد31 , د ت, ص129 ؛ اميل توما المصدر السابق , ص95

(152) - اميل توما، المصدر السابق، ص130–120؛ سليمان موسى، المصدر السابق، ص267.

## قائمة المصادر


1 – ابراهيم خليل احمد , تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني 1916–1516 , دار ابن الاثير للطباعة والنشر , الموصل , 2005.

2 – أحمد امين , زعماء الاصلاح في العصر الحديث , القاهرة , 1965.

3 – ارنست رامز ور , تركيا الفتاة والثورة عام 1908 , ت صالح احم العلي , بيروت , 1960.

4 – اكرم زعيتر , القضية الفلسطينية , دار المعارف , القاهرة , 1995.

5 – اميل توما , جذور القضية الفلسطينية , دار الكتب , فلسطين 1997.

6 – جلال يحيى , المغرب العربي والاستعمار , القاهرة, 1966.

7 – جورج انطونيوس , يقضة العرب تاريخ حركة العربي القومية, ت ناصرالدين الاسد واحسان عباس , ط8 , دار العلم للملايين , بيروت , 1987.

8 – حسني ادهم جرار , شعب فلسطين أمام التأمر البريطاني والكيان الصهيوني , عمان , 1999.

9 – خيرية قاسميه مواقف عربيه من التفاهم مع الصهيونية 1914–1913 , شؤون الفلسطينية , العدد31 , د ت.

10 – رأفت غنيمي , تاريخ العرب الحديث , القاهرة , 1975.

11 – سليمان موسى , الحركة العربية , سيرة المرحلة الاولى للنهضة العربية الحديثة 1924–1908 , دار النهضة , بيروت، 1970.

12 – عبدالكريم رافق, بلاد الشام ومصر , منذ الفتح العثماني حتى حملة نابليون بونابرت , دمشق 1968,

13 – ليلى الصباغ , المجتمع السوري في مطلع العهد العثماني , دمشق , 1973.

14 – محسن الجابري , علم الثورة العربية , بيروت ,2000.

15 – محمد عمارة , العرب والتحدي , الكويت , 1980.

16 – مصطفى عبدالقادر النجار ,فكر الثورة العربية لعام 1916 واستقلال العرب, التطور الفكري العربي, بغداد, 1986.